الأدب الإسلامي وإشكالية المصطلح

فيصل علي

سمعت عن الأدب الإسلامي كثيرا وأنا طالب في الثانوية. وأيام الجامعة ،، ووجدت في تلك الفترة بعض اعداد مجلة الأدب الإسلامي ، ومع ذلك لم استوعب ماذا يعني أدب إسلامي؟

وكنت أود ان أعرف هل هناك فرق بينه وبين الأدب العربي؟ وهل هناك أدب إسلامي. وآخر علماني؟ ولكن لم أجد إجابة على كل تلك التساؤلات ، وكنت قد نسيت عبارة أدب إسلامي مع انشغالي في سنوات الدراسة العليا ، ولم اسمع بها إلا منذ أيام قلائل عندما وصلتني دعوة من اللجنة التحضيرية لرابطة الأدب الإسلامي فرع اليمن، بعدها تذكرت كل تلك الأسئلة السابقة ، وانتهزتها فرصة للتعرف عليه عن قرب، ومن أصحابه ، وخصوصا أن الوفد القادم من خارج اليمن فيه رئيس الرابطة الدكتور عبدالقدوس أبو صالح ، وعدد من مجلس الأمناء ، أعددت أسئلة كثيرة لأطرحها عليهم في الندوة التي أقاموها في مركز الدراسات والبحوث ومنها لماذا لايكون (أدب إنساني) بدلا من إسلامي؟ وماهي أهدافه؟ ومامميزاته ؟ ولكن كانت الندوة التعريفية بهذا الأدب قد اغنتني عن طرح أسئلتي.

ومن خلال ماقالوه ومن الأدبيات الموزعة داخل الحفل، أو التي حصلت عليها انقل إليك أيها القارئ الكريم أشياء أحسب انك مثلي كنت تجهلها عن هذا الأدب، وأنا هنا أعرض مالدى هؤلاء من أطروحات أدبية، من أجل ان أتعرف وإياك ، ولك ان تناقش، وتسأل وتتفاعل مع هذا الموضوع.

أولا: نشأة رابطة الأدب الإسلامي العالمية

بدأ كفكرة عند بعض الأدباء الإسلاميين وتجسدت لقاءاتهم في عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ومن ثم كانت الندوة العالمية للأدب الإسلامي التي دعا إليها الشيخ الأديب أبو الحسن الندوي (هندي الموطن قرشي النسب) رحمه الله وقد دعي إليها كثير من رجالات العالم الإسلامي ومن المهتمين بالأدب العربي وبعدها اتخذوا توصية تتضمن إقامة رابطة عالمية للأدباء الإسلاميين وقد تعاقبت الندوات المهتمة بذلك مثل الندوة التي اقيمت في المدينة المنورة، وأخرى في جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية وفي لكنو الهندية دعت الهيئة التأسيسية الى المؤتمر العام الأول للرابطة في عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م حيث تم وضع النظام الأساسي ،وانتخاب مجلس الأمناء وانتخب الشيخ أبوالحسن الندوي رئيسا للرابطة وبعد وفاته رحمه الله انتخب الدكتور عبدالقدوس أبو صالح (سوري الجنسية) رئيسا لها.

ثانيا: أهدافها

١- تأصيل الأدب الإسلامي وإبراز سماته قديما وحديثا.
٢- إرساء قواعد النقد الأدبي الإسلامي.
٣- صياغة نظرية متكاملة للأدب الإسلامي.
٤- وضع مناهج إسلامية للفنون الأدبية الحديثة.
٥- جمع الآداب الإسلامية المتميزة.
٦- العناية بأدب الأطفال.
٧- نقد المذاهب الأدبية المنحرفة.
٨- تعزيز عالمية الأدب الإسلامي.
٩- توثيق الصلات بين الأدباء الإسلاميين.
١٠- إسهام الأدب الإسلامي في تنشئة الأجيال المؤمنة.
١١- تيسير وسائل النشر لأعضاء الرابطة.
١٢- الدفاع عن الحقوق الأدبية لأعضاء الرابطة.

ثالثا: تعريف الأدب الإسلامي:

هو: (التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي)

ويعرفه الدكتور حسن الهويمل رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في الرياض بقوله: هو التعبير الفني الصادق عن الأشياء وفق التصور الإسلامي.

ويقول إن الأدب الإسلامي يريد من الأديب ان يعبر عن شعوره ومواقفه مع مراعاة الضوابط الإسلامية ، وعدم الإساءة للآخرين ، وقيمهم وعقائدهم.

ويقول الدكتور سعد أبو الرضا نائب رئيس مجلة الأدب الإسلامي: إن هذا الأدب يتوجه إلى المجتمع كله، وهو أدب لايمجد الفرد إلى درجة التاليه كالوجودية، ولايضحي بالفرد من اجل الجماعة مثل الشيوعية ، وهو لايهرب من الواقع الى الخيال، مع استعماله للخيال أحيانا ، وهو يهتم بكل أطراف العملية الإبداعية : المبدع ، والنص ، والمتلقي كل حسب أهميته وفاعليته ، ويشير إلى انه ليس أدبا وعضيا.

ويقول الدكتور عبدالقدوس أبو صالح : هو أدب ايجابي يدعو الى الإسلام، ودعوة للبشرية الى عدم الإفساد في الأرض ، ويدعو الى الوسطية، ونبذ التطرف ،والتعصب.

ان هذا الأدب يرفض أية محاولة لقطع الصلة بين الأدب القديم والحديث ويرفض النظريات ، والمذاهب المنحرفة.

رابعا: الأدب الإسلامي (إشكالية المصطلح)

لقد برز هذا المصطلح في الآونة الأخيرة، وتناقلته الصحف ، والمجلات، والكتب، وفي كل ذلك دلالة ذات مغزى في رصد الحركة الفكرية في العالم الإسلامي (تشير إلى بروز النموذج الإسلامي وإثارته قدرا كبيرا من الاهتمام.

أن أنصار هذا الأدب يبشرون به على انه أدب المستقبل الذي يعبر عن تاريخ المنطقة العربية والإسلامية ويبلور شخصيتها الثقافية ، ويحفظ لها خصوصيتها.

أما خصوم هذا الأدب فيرونه حالة مرضية تدل على التعصب ، وضيق الأفق، وتصدر عن عدوانية متحفزة ، وتخلط بين الإبداعات البشرية المتغيرة ، والمواقف الدينية الثابتة .

ونستدل من ذلك على ان هذا الأدب له أنصار يحترمونه وخصوم يخشونه، إذا هذا الأدب له كيان موجود بحد ذاته.

أما تسميته بـ(إسلامي) فأنصاره يقولون مادام أن هناك أدبا مسيحيا وأدبا يهوديا، فلماذا لايكون هناك أدب إسلامي ، ايضا أن شعوب المنطقة الإسلامية كل له أدبه ، فلماذا لايكون هناك رابطة لكل أداب هذه المنطقة ولايوجد ما يوحد الجميع إلا أدب إسلامي فلدينا أداب كثيرة (أدب تركي، وأدب عربي ، وأدب إيراني، وأدب هندي، وأدب جاوي).

ويحتج اصحابه بأن الإسلام هو الذي منح الجميع الوجود المميز وخصوصا للحضارة العربية فقد منحها الصفة العالمية، ولولاه لظل العرب على هامش التاريخ.

إن حضارة الإسلام ليس عجبا ان يكون لها أدبها الذي يميزها عن غيرها ، ويعبر عنها وعن خصوصيتها الأدبية (ويمثل ميولها الإبداعية).

إن خصوم هذا الأدب يتقبلون فكرة أدب يهودي والحديث عن هذا الأخير متواتر، ولايقابل بالتساؤل، أو الاستغراب ، بل يقابل بالصمت، أو الإعجاب وترتفع نبرته في عصرنا حيث تتزايد الجاليا اليهودية في امريكا وحيث يسيطرون على المال ، ومناطق النفوذ ويقابل بالتشجيع وبجوائز نوبل ،وباهتمام النقاد الذين يكشفون دون ملل عن خصائص هذا الأدب اليهودي، وتعبيره عن ظروف جماعة خاصة ، لها رؤيتها(ويربطونه بنصوص في التوراة ، وبمخلفات التابوت، وميراث إسرائيل).

وكذلك الأدب المسيحي يتقبلونه دون اعتراض ويتابعون ظواهره سواء في اثينا أو في أوروبا أو بين اقباط مصر، (ويحللون نصوصه ويرونه يمثل تركيبة جوهرية في البنية الثقافية للحضارة الاوروبية.

ان الإسلام ليس بدعا في ذلك فمن العدالة ان ينطبق عليه مثل ماينطبق على نظيريه: اليهودية ، والنصرانية ، بل هو أحق منها في ظاهرة الأدب، لأن معجزته الكلمة بين قوم اشتهروا بالفصاحة والأدب الذي تملك عليهم كل مواهبهم الإبداعية.

(ومادام ان هناك ظواهر أدبية في عالمنا العربي، وفي العالم أداب مثل الأدب القومي والادب الشيوعي والادب الوجودي والأدب الاشتراكي ،فلماذا ينكر الآخرون وجود ظاهرة الأدب الإسلامي).

ان هذا الأدب قد تجاوز الحدود الزمانية والمكانية ، فهو أدب عالمي يتصف بالإسلامية، وهي صفة طبيعية لما يحمل في طياته من معاني الإسلام العظيمة والآداب القومية التي توجد في حدود الخارطة الإسلامية (مع عدم التصادم معها والتوفيق بينها وبينه) لاتصلح لأن تكون الرائدة على مستوى العالم ويعود ذلك إلى أنها محصورة بين أهلها وإلى عالمية الإسلام فهو لايقتصر على الحدود (الزمكانية) وليس لقوم دون غيرهم ، اذا بما أن هذا الدين إنساني ، وعالمي فإن أدبه يتصف أيضا بالإنسانية والعالمية.

خامسا : بعض المقطوعات من الأعمال الشعرية للأدباء الإسلاميين:

إن الأدب الإسلامي لم يعتن بفرعية أو جزئية من جزئيات الأدب دون أخرى ، فاهتماماتهم تنصب على أمور كثيرة مثل الشعر ، والنثر والقصة ، والمسرح والمقالة.

ونحن هنا نعرض بعض المقطوعات الشعرية، لبعض شعرائهم:

إقرأ للشاعر محمد بن سعيد الدبل في قصيدة من للسلام:

لغة الشعر والقوافي سلاحي
فاتني الركب فانثني ياجراحي
اخفض الصوت فالحروف حيارى
شدوها طائر مهيض الجناح
أي بر أسديه إن ظلّ خطوي
رهن أنشوطتي ونجوى صُداح
إذا صوت النذير تناءت
كبريائي وإمعنت في اطّراحي
وإذا زمجر الحديدُ توالت
خفقات تسرُها أتراحي

الى ان يقول في نهايتها:

رب من للسلام إن صال كُفرُ
غير دين متوج بالصلاح
فلجر أمتي وحقق مناها
بانتصار وقوة وفلاح

وإذا دققنا في الكلمات الشعرية سنجد أنها قوية ، والفاظ واضحة تذكر بالله وبدين الإسلام ، وكأنك تقرأ لشعراء العصر العباسي مع أن الشاعر من المحدثين وتعود القوة في الأبيات الى القدرة الإبداعية عند الشاعر والى توجيهات الشيخ الندوي رحمه الله الذي كان يشدد دائما على الدور الفاعل للكلمة الأدبية بحيث تستعيد رونقها وبهاءها بدلا من الدوران في فلك التغريب والأدب الصناعي، أو استغلال الكلمة في الأغراض الهابطة ، فالأدب يجب أن يكون سيالا ، سلسا، هادرا من أعماق النفس البشرية حتى يمس شغاف النفس مباشرة ، وأضاف :لاتركزوا على أدب الصنعة والتكلف، وأعيدوا للكلمة جمالها

ويتضح صدق العاطفة الجياشة وحسن التصوير عند الشاعر عبدالرحمن الصوفي في قصيدته : أشواق طفل:

يا أمتي إني منَاك المُخضلُ
في انطوَي وتفَتح المُستقبلُ
من نور عيني قد همت كل الرؤى
وبها يُصاغُ المستحبُ الأجملُ
ومن الشفاء المستفيض على فمي
يتفتق الكلم الحكيم وينهل
كمبدع ، كم قائد ، كم عالم
بعباءتي وبراعَتي يتسربل
ونماء جسمي عبر يومي عدة
تبنى بها أسس القوى وتؤهل

إلى أن يقول في نهاية قصيدته:

يا أمتي الله أوجد فطرتي
بيضاء لاشر بها تتمثل
هيا اغرسي فيها الفضائل قرة
ليقوم نشء بالحجا يتجمل
لاتحسبي ان اللقيمة مئيتي
فغذاء روحي بالحامد أفضل

ان كثيرا من قراء الشعر العربي مروا على هذا البيت للشاعر العربي دريد بن الصمة ولم يقفوا عنده ولم يردوا عليه وخصوصا انه قيل في عصر ماقبل الإسلام ،ومنهم من استنكره وشجبه ولكن ذلك الشجب ذهب أدراج الرياح ، ولم نسمع به واليكم البيت

وهل أنا إلا من غزيّة إن غوت
غويت وان ترشد غزية أرشد

لم يقبل شاعر الإسلام محبوب موسى هذا الكلام ودفعته معاني الإسلام المغروسة في نفس كل مؤمن يقض متفاعل مع دينه إلا أن يرد البيت بأبيات أقوى في المعاني وأقرب الى الفطرة السليمة التي لاتنجرف الى الغواية الجماعية التي قادت مجتمع العرب قبل الإسلام (إن كان لهم مجتمع فقد كانوا قبائل متناحرة) الى حروب البسوس وداحس والغبراء وغيرها ، وجاءت أبيات محبوب على النحو التالي:

غزيّةُ مني إنما في رشادها
فإن قارفت غيا فليست قبيلتي
فما كانت الأرحام للذل معبرا
ولا كانت الأنسابُ مهر الخطيئة
غزيّةُ مني حين يدوي نفيرها
لعدل وتسعى لاحتضان الحقيقة
ونجدة مظلوب وإلجام ظالم
ونشر ضياء في غضون الدُجُنّةِ

هنا افتديها هاتفا: انت من دمي
ونبض فؤادي ياقبيلتي وعترتي

الى أن يصل إلى نهايتها الرائعة يقول:

غزيّةُ إني قد أطلت لتفهمي
مصيرُ عاقد كل عزيمتي
واجمل قولي كله في عبارة
أنا عبد ربي لست عبدالقبيلة

من هنا نقول ان صفة الإسلامية في الأدب قد أوجدت شيئا جديدا للشعر حيث نقته من كل ما يتعارض مع الإسلام بحيث يكون مرتبطا بقضايا الأمة ، ولايكون مفصولا عن مفاهيم الإسلام بحيث لاتهتز قيم الأجيال.

ان الشعر الإسلامي متعدد الأغراض عفيف الألفاظ فتراه مهتما بنشر ثقافة لاتشوبها الرذائل متحلية بالفضائل، تراه يدخل في بعض الأحيان الى عمق الحياة الزوجية وقضايا الحب مع اختلافها (حب الله والإسلام ، وحب المرأة ، وحب الأوطان...) ولكنه يبتعد بألفاظه عن الخروج الى سوء القيم كالخصومات السياسية الجوفاء في ترجيحاتها العنيفة ونقائض جرير والفرزدق في شتائمها المقذعة وغزليات عمر ابن أبي ربيعة في صورها المبتذلة ، ومجونيات بشار بن برد.

إن هذا الأدب واضح المعالم ، والمقاصد ، صريح في عباراته قوي في أطروحاته.

ونحن نضع هذا بين يدي قرائنا الأعزاء نريد منهم التعليق على ماورد في السطور السابقة والوقوف عند هذا الأدب وماذهب إليه في قصائده ، وقصصه ، وأعماله المختلفة ونتمنى من أصحابه أن يبرزوا ماعندهم وللقراء الحكم في تمييزهم عن غيرهم أولا.

قائمة المراجع

١- استماع إلى رئيس وأعضاء الرابطة يومي الأربعاء الخميس من الأسبوع الماضي.
٢- كتاب وزع في الحفل (تعريف بالرابطة)
٣- المجلة الثقافية – ملحق صحيفة الجزيرة العدد ٧٣ .
٤- مجلة الأدب الإسلامي العدد ٣ .
٥- النظام المعدل لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.
٦- مجلة الأدب الإسلامي العدد ١١
٧- مجلة الأدب الإسلامي العدد ٣٦ .

غياب

عبده عبيد النجار

أتقصاني
وأنا
أمرقُ من جلدي
أتلاشى في بحري المسجور
أقلبُ أفقي الغائم
أبحث عن جذري
في قفر متاهاتي
في وحل غيابي
والمرآة الزرقاء
أمامي
أبحث عن وجهي
في جدران المجهول
أحدق ثانية
ثالثة أخرى
في مرآة جنوني
لا أبصرني
لا أبصروجهي
لا أبصرني
الاّ جسدا مهترئا
يستنسخه الشيطان الآلي
وشهيقا يتعرجُ
في مدخنة الوقت
وزفيرا يقبضه الليلُ
المتناسلُ في نبضي
لا أبصرني
لا ألمحُ وجهي
في جسدي

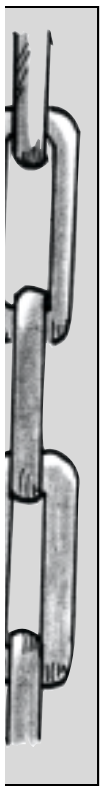

صدام نجيب الشيباني